أثر ما تجاهله النُّحاة من لهجات عربية في توجيه بعض الأسماء في القراءات القرآنية

د. سهير سيِّد الخليل يوسف*

المستخلص:

تناول الدراسة أثر تجاهل النحاة للّغات غير الشائعة التي جاءت بها بعض القراءات القرآنية وقد أدى ذلك إلى اتهام القرّاء باللحن، كما أدى إلى توجيه القراءات بحسب ما وضعوه من قياس وما تجاهلوه من لهجات. لقد تجاهل النحاة لهجات بعض القبائل العربية وأخذوا ببعضها وسموا تلك التي لم يأخذوا عنها باللغات الشاذة ولجأوا إلى تأويل القراءات التي خالفت قواعدهم ورموها بالشذوذ والخطأ مما أدى إلى الاضطراب وتعدد الآراء، وتمّ استعراض بعض القراءات التي لم يوثقها النحاة ولم يعتدوا بلغاتها وعزوا ما جاءت به هذه القراءات من مخالفات لقواعدهم إلى الضرورة وذلك بسبب وضع النحاة لقواعدهم على قياس ناقص وقاصر لم يشتمل على جميع اللهجات العربية وخاصة التي جاءت بها القراءات القرآنية، لهذا كان الاضطراب والتعدد في المسألة الواحدة ، وما أيسر لو وضعت القاعدة على ما قيل وسُمع !. كذلك من أثر تجاهل النحاة للهجات بعض القبائل التي جاءت بها القراءات القرآنية، التأويل والتخريجات البعيدة الغارقة في الفلسفة والخيال مع وجود ظواهر لغوية بنيت على أساس اجتماعي واقعي.

وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي من خلال تتبع الظاهرة في القرآن الكريم، وقد قسمت الورقة إلى عدد من المحاور وكان المحور الأول منها الضمير، أما المحور الثاني فتضمن المثنى، وكان المحور الثالث الممنوع من الصرف، كما تضمن المحور الرابع ياء المتكلم، وأخيراً المحور الخامس الإتباع، وختمت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات.

* جامعة الباحة – كلية العلوم والآداب بالمخواة – المملكة العربية السعودية

Abstract

The study investigates the impact of the ignoring of grammarians to the non-common languages by which some readings of the Holy Quran have come. This led the readers to commit some mistakes and directed the readings according to the measure they put and the dialects they ignored. The study reviewed some of the readings that were not documented by the grammarians and they didn't accept their languages. They attributed the differences of grammatical rules which have come in these readings to the necessity, because the grammarians put their bases on minor and incomplete measure that did not include all Arabic dialects, in particular that came in the readings of the Holy Quran. This has caused a confusion and multiplicity in the same issue, as well as the impact of the ignoring of grammarians to the dialects of some tribes that came in the readings of the Holy Quran, in addition to the interpretation and remote explanations that deeply sunken in philosophy and imagination with the existence of linguistic phenomena that were built on a social and unrealistic base.

The study has come to the following findings and recommendations:

* In their accusing of readers of the Holy Quran, grammarians relied on the rules that they put and the grammar that they established such as the measurement and Reasoning. So, the Holy Quran and what was heard from the Arabs must be the origin of rulemaking, and away from the interpretations, philosophy and dystrophic or affectation.

* The grammarians ignoring of the dialects of some Arab tribes led to the interpretation of the readings and considered them wrong and anomaly readings, which was a cause of the trouble and plurality of grammatical opinions. So, attention should be given to the study of Arabic dialects, especially what ignored by grammarians.

مقدمة

كان لتجاهل النُّحاة للهجات بعض القبائل العربية – وتنكرهم لكل مالا يطرد مع أقيستهم وأخذهم ببعضها، وتركهم للبعض الآخر– أثر في توجيه القراءات القرآنية، فعملوا على مخالفتها حيناً وتخطئتها أحياناً أخرى فقد سمّوا تلك التي لم يأخذوا عنها باللغات الشاذة ولجأوا إلى تأويل القراءات التي خالفت قواعدهم ورموها

بالشذوذ والخطأ مما أدى إلى الاضطراب، و تعدد الآراء في المسألة النَّحوية الواحدة، كما إنهم لم يعتمدوا على اللغة النَّموذجية في أخذهم لتلك اللهجات، معنى هذا أن قضية إقحام اللهجات، بصفاتها وخصائصها المتباينة في الأقيسة والقواعد التي وضعها النُّحاة وعدم التعويل على اللغة النموذجية فقط، هو الذي أدى إلى التعقيد وتفريع المسائل والاضطراب في القواعد النحوية مما قاد إلى تخطئة بعض القراءات، ورميها بالشذوذ ولو كانت القراءة موثقة ومروية عن كبار القُرّاء، ولم يقتصر الأمر على التشكيك في القراءة أو رميها باللحن فحسب بل عمل النحاة على توجيه هذه القراءات بحسب ما وضعوه من قياس وما تجاهلوه من لهجات " لقد أسس النُّحاة نحوهم على لهجة قريش ولم يتعرضوا لغيرها من اللهجات إلا نادراً، حتى أن لهجة كلهجة تميم لم يقم لها النحويون وزناً كبيراً في إقامة قواعدهم النحوية برغم أنها لهجة قبيلة ذات شأن، وكل من يقرأ في

كتب اللغة والنحو، بل وقراءات القرآن المختلفة يدرك وجود هذه اللهجة وحضورها"[١].

وسوف نستعرض بعض القراءات التي اشتملت على بعض الأسماء و التي لم يوثقها النُّحاة ولم يعتدوا بلغاتها

وعزوا ما جاء من هذه اللهجات التي لم يأخذوا بها إلى الضرورة. وقد قسمت الورقة على عدد من المحاور وكان المحور الأول الضمير، أما المحور الثاني فتضمن المثنى، وكان المحور الثالث الممنوع من الصرف، كما تضمن المحور الرابع ياء المتكلم، وأخيراً المحور الخامس الإتباع، وختمت الدراسة بعدد من النتائج والتوصيات.

المحور الأول ضمير الفصل:

قرأ ابن مسعود[٢] وجمهور القرّاء قوله تعالى: ﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾[٣]

برفع (أطهرُ)، وخالف عيسى بن عمر الثقفي هذه القراءة وقرأ بنصب (أطهرَ) على الحال وجعل (هُنَّ) ضمير فصل. كما قرأ بذلك ابن مروان والحسن وسعيد ابن جبير، وقال أبوعمرو: (احتبى ابن مروان في لحنه)[٤]

١/ أنظر: ورّاق محمد غالب عبد الرحمن ، ٢٠٠٣ م ، مباحث في مشكلات النَّحو العربي وسبل علاجها ،مطبعة جامعة أفريقيا العالمية .

٢/ أنظر: أثير الدين أبو عبد الله بن حيّان الأندلسي ، ١٣٢٨هـ ، البحر المحيط، القاهرة، وطبعة السعادة ٥ /٢٤٧

٣/ سورة هود الآية (٧٨(

والأحسن أن يكون هؤلاء مبتدأ، (بناتي هنَّ) جملة لأن الفصل لا يقع بين الحال وصاحبها.

وأجاز ذلك الأخفش وادّعى السماع عن العرب[٥]. وجاء في إعراب هذه القراءة:

(هؤلاء): مبتدأ و(بناتي) عطف بيان أو بدل. (هنَّ) فصل، و(أطهر): الخبر ويجوز أن يكون (هنَّ) مبتدأ ثاني ، (أطهرُ) خبره ويجوز أن يكون (بناتي) خبراً، و (هنَّ أطهر) مبتدأ وخبر وقرئ في الشاذ:

(أطهرَ) بالنصب ، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون (بناتي) خبراً، و (هنّ) فصلاً، و (أطهر) حالاً.

الثاني: أن يكون (هنَّ) مبتدأ، و (لكم) خبر و (أطهر) حال.

والعامل فيه ما فيهن من معنى التوكيد بتكرير المعنى لما فيه من معنى الاستقرار[٦].

٤/أنظر: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، الكتاب ، بيروت لبنان ، دار الكتب العلمية ٣٩٧/١. والبحر المحط ٢٤٧/٥. و القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م الجامع لأحكام القرآن ط٥ ،بيروت –لبنلن ، دار الكتب العلمية ٧٦/٩ .

٥/ أنظر: الزمخشري جاد الله أبو القاسم ،(د.ت) الدار العلمية للطباعة والنشر ص٤١٤، والبحر المحيط ٢٤٧/٥ ، والعكبري أبو البقاء الحسين بن عبد الله ،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن، ط١ ، بيروت- لبنان ٤٣/٢ ، السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦ م ، الإتقان ٦٠٢ في علوم القرآن ، ط٣ ، دمشق –بيروت ، وطبعة دار الفكر ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .

٦/ أنظر: العكبري أبو البقاء الحسين بن عبد الله ،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن، ط١ ، بيروت- لبنان ، ٢ /٤٣.

وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٧]

الشاهد: هو (خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) حيث جاءت (خيراً) بالنصب بدلاً عن الرفع قال أبو البقاء هو فصل أو بدل أو توكيد فقوله أو (بدل) وهْمٌ، فلو كان بدلاً لطابق في النصب فكان يكون إياه[٨].

قال أبو زيد: سمعتهم يقرءون (تجدوه عند اللهِ هو خيرٌ وأعظم أجراً) برفع (خيرٌ) و (أعظمُ)[٩] قال سيبويه: (وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ، وما بعده مبني عليه، فكأنه يقول، أظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون: ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون﴾[١٠]. قال الرضي: (تتعين فصلية الصيغة إذا كانت بعد اسم ظاهر وكان ما بعدها منصوباً، نحو كان زيدُ هو المنطلق، أو إذا دخلها لام الابتداء وانتصب ما بعدها، وإن كانت أيضاً

٧/ سورة المزمل الآية (٢٠)

٨/ أنظر: العكبري ، ١٤٤/٢ (المرجع السابق)

٩/ أنظر: البحر المحيط ، ٤٨٨/٤ ، ٢٥٩/٧ .(مرجع سابق)

١٠/ أنظر: الكتاب ، ٣٩٥/١ . (المرجع السابق)

بعد مضمر نحو: إن كنت لأنت الكريم)[١١]. ضمير الفصل يأتي للتأكيد ولا يكون له محل من الإعراب.

ولكن هناك لهجات تجعل له محلاً من الإعراب وقد وردت بهذه اللهجات قراءات قرأ الجمهور عدة آيات مثال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٢]

قرأ الأعمش وزيد بن علي (الحقُ) بالرفع[١٣] وقد أجازه الزجّاج[١٤] ولكنه قال: (ولا أعلم أحداً قرأ بها) ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها.

٢/ وقرأ الجمهور قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[١٥] بالنصب، والظالمون بالرفع[١٦] قراءة عبد الله وأبو زيد النحويان على أنه خبر (هم) و(هم) مبتدأ، وذكر أبو عمر الجرمي أن لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون ما بعده على الخبر. وقد اتفق القراء

١١/ أنظر: شرح الرضي لكافية ابن حجاب ١٤١٤هـ -١٩٩٣م ط١، ٢الرياض ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود ٢٥/٢، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، (د. ت) همع الهوامع، ١بيروت لبنان، ٦٩/١ .

١٢/ سورة الأنفال الآية (٣٢).

١٣/ أنظر: البحر المحيط، ٤٨٨/٤، والزجاج أبو إسحق، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م معاني القرآن وإعرابه، ط١، بيروت ،عالم الكتب ، ٤٥٥/٤٥٤/٢

١٤/أنظر :الزجاج إعراب القرآن

و http://www.islamicbook.ws/qbook%5Calom/iarab-alqran-003.html

١٥/سورة الزخرف الآية (٧٦) .

١٦/ أنظر: البحر المحيط، ٢٧/٨ .

السبعة على إهمال ضمير الفصل لأنه أكثر شيوعاً في العربية ومن قرأ بإعماله أصحاب القراءات الشاذة، ومن كل هذا نخلص إلى الآتي[١٧]:

١/ إذا كان الاسم الواقع بعد ضمير الفصل مرفوعاً جاز في الضمير أن يكون مبتدأ ثانياً خبره الاسم المتأخر عنه والجملة منهما معاً خبر المبتدأ الأول، كما يجوز عند النُّحاة أن يكون ضمير الفصل اسماً مهملاً أي لا يعمل ولا محل له من الإعراب أو حرفاً فكأنه غير موجود في الكلام، فيعرب ما بعده على حسب حاجة الجملة من غير اعتبار لوجود ذلك الضمير؛ وتكون الكلمة الواقعة بعد الضمير مرفوعة خبر المبتدأ لكنهم يفضلون إعرابه مبتدأ ثانياً، لكيلا يقع الضمير مهملاً لا محل له من الإعراب من غير ضرورة. ومثل ذلك يقال مع (إن وأخواتها) لأن الاسم الذي بعد الضمير مرفوع.

٢/ إذا وقع ضمير الفصل بعد اسم ظاهر مرفوع وبعده اسم منصوب لم يجز في الضمير عندهم إلا اعتباره اسماً مهملاً، لا محل له من الإعراب، مثل الحرف أو هو حرف، أما إذا كانت الكلمة الواقعة بعد الضمير مرفوعة، لأنه يجوز فيها الرفع، فالضمير عندئذ مبتدأ وما بعده خبر له، والجملة منهما في محل نصب خبراً أو مفعولاً ثانياً للفعل (ظن) أو لأخواتها وهذا ما قاله سيبويه[١٨].

١٧/أنظر: ابن يعيش النحوي موفق الدين، (د . ت(شرح المفصل، بيروت لبنان، عالم الكتب ١٠٩/٥، همع الهوامع، ص ٦٨ ، و ابن هشام الأنصاري أبو عبد الله، (د . ت)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، نشر المكتبة التجارية الكبرى ص ٩٦/٢ .

١٨/ أنظر: الكتاب ، ٣٩٥/١ (بتصرف) .

٣ / إذا توسط ضمير الفصل بين اسمين، السابق منهما ضمير متصل مرفوع، والمتأخر اسم منصوب جاز في ضمير الفصل أن يكون اسماً لا محل له من الإعراب، كالحرف أو هو حرف وما بعده يعرب على حسب حاجة ما قبله، وجاز في ضمير الفصل أن يكون توكيداً لفظياً[١٩].

٤ / لغة تميم ترفع الاسم بعد ضمير الفصل، فيكون مبتدأ (الظالمون)، (خيرُ)،(أعظمُ) . الآيات السابقة . قول سيبويه: (وقد جعل ناس كثير من العرب هو وأخواتها اسماً مبتدأ وما بعدها مبنياً عليه)[٢٠].

وقول قيس بن ذريح: من (الطويل)

تبكي على لبنى وأنت تركتها *** وكنت عليها بالملا أنت أقدرُ[٢١]

الشاهد: أنت: مبتدأ، أقدر: خبر ولولا القافية لجعل (أنت) فصلاً، ونصب (أقدر) على أَنَّه خبر لـ (كان)[٢٢] ونقل أبو حيان عن أبي عمرو والجرمي: أن لهجة تميم (جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون ما بعده على الخبر)[٢٣].

وهذا يؤكد ما قلناه وما جاء به الكثيرون، أن النُّحاة قد وضعوا قواعدهم على قياس ناقص وقاصر ولم يشمل جميع اللهجات العربية، حتى تلك اللهجات ذات الوزن والقيمة خاصة التي جاءت بها القراءات

١٩/أنظر: عباس حسن ، لعباس حسن ، ١٩٨١م النحو الوافي ، ط ٧،دار المعارف ، ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ .

٢٠/أنظر: الكتاب ، لسيبويه ، ٤١٣/٢ . والبحر والمحيط ٢٧/٨ .

٢١/ أنظر: الكتاب لسيبويه، ٣٩٥/١، البحر المحيط ، ٢٧/٨ .

٢٢/ أنظر: الكتاب ، لسيبويه، ٤١٣/٢ .

٢٣/ أنظر: الكتاب ، لسيبويه، ٤١٣/٢ .

القرآنية لهذا كان الاضطراب والتعدد في المسألة الواحدة؛ مما أدى إلى تشعب النّحو وصعوبته وما أيسر لو عزيت المسألة لقول العرب! أو القاعدة للقراءات القرآنية ! ولما أضّطر النُّحاة لتخطئة كثير من القراءات القرآنية بسبب تلك القواعد النّحوية وما افترضوه من قياس وعلل وعوامل.

المحور الثاني المثنى:

قرأ حفص عن عاصم قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾[٢٤]

كما قرأ أبو حيوة، والزهري، وابن محيصن، وحميد، وابن سعدان[٢٥] الآية بتخفيف النون في الموضعين، ساكنة في (إنْ) ومكسورة في (هذان) بالألف وهي قراءة سبعية مشهورة، وقد خطأ النُّحاة وجوهاً كثيرة وردت في هذه الآية منها:

أ/ قراءة نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأيوب، وشعبة، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب، ووافقهم الشنبوذي و الحسن[٢٦]: (إنَّ هذان لساحران)، وهم جمهور القُرَّاء السبعة والعشرة – رحمهم الله – قرأوا بتشديد النون في (إنَّ) وتخفيفها في(هذان) بالألف.

ب/ قراءة عائشة – رضي الله عنها – والحسن والنخعي والجحدري والأعمش وابن جبير وابن عبيد وأبي عمرو بن العلاء من الأئمة

٢٤/سورة طه الآية (٦٣) .

٢٥/أنظر: البحر المحيط ٦/٢٥٥ .

٢٦/ أنظر: الدمياطي أحمد بن محمد البنا، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ط١ ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية وعالم الكتب ، بيروت ٢/٢٤٨ .

السبعة[٢٧] – رحمهم الله – :(إنّ هذين لساحران) بتشديد النون في (إنّ) وتخفيفها مكسورة في (هذين) بالياء.

جـ / وقرأ عبد الله بن كثير[٢٨] من السبعة – رحمهم الله – : (إن هذانّ لساحران) بتخفيف النون في (إن) وتشديدها في (هذانَ) بالألف.

د / وقرأت فرقة (إن ذان لساحران) بتخفيف النون في (إن) وكسر الثانية[٢٩].

هـ / وقرأ عبد الله بن مسعود[٣٠]– رضي الله عنه– (أَن هذان لساحران) بفتح همزة (أَن) وتخفيف النون فيها وفي

(هذان) و القراءة الوحيدة التي سلمت من الطعن هي قراءة حفص عن عاصم وقد ذهب النُّحاة في توجيهها إلى أن (أن) مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها، وارتفع بعدها المبتدأ (هذان) والخبر (ساحران)، وقد دخلت اللام للتفرقة بين (إن) النافية و(إن) المخففة من الثقيلة، وهي اللام الفارقة هذا على رأي البصريين، أما بقية الوجوه الأخرى لهذه الآية فقد أنكرها أكثر النُّحاة منهم الزجّاج الذي أنكر قراءة أبي عمرو (إنّ هذين لساحران) قال الزجّاج: (لا أجيز قراءة أبي عمرو لأنها خلاف المصحف)[٣١] ويأتي هذا الإنكار منهم رغم ما توفر لهذه القراءة من مقومات القراءة الصحيحة عن قارئ حجة في العربية والقراءة وموافقة

٢٧/أنظر: البحر المحيط، ٦/٢٥٥ .

٢٨/ أنظر: البحر المحيط، ٦/٢٥٥ .

٢٩/ أنظر: البحر المحيط، ٦/٢٥٥ . (مرجع سابق)

٣٠/ أنظر: المرجع السابق نفسه

٣١/ أنظر: البحر المحيط،٦/٢٥٥ . ومعاني القرآن وإعرابه ،للزجاج

لقياسهم كما أن الرسم يحتمل هذه القراءة التي كانت مجردة من الألف والياء كليهما[٣٢]. يقول ابن هشام: (وقد اجتمع النصب بالياء والرفع بالألف في ﴿ إِنْ هذَيْن لَسَاحِرَانِ ﴾)[٣٣]، وفي هذا الموضع قراءات:

إحداهما هذه، وهي تشديد النون من (إنّ) و (هَذْين) بالياء، وهي قراءة أبو عمرو، وهي جارية على سنن العربية فإن (إنّ) تنصب الاسم وترفع الخبر، (هذَيْن) اسمها، فيجب نصبه بالياء لأنه مثنى؛ و(ساحران) خبرها فرفعه بالألف، والثانية (إنْ) بالتخفيف (هذان) بالألف، وتوجيهها أنّ الأصل (إنّ هذَيْنِ) فخففت

(إن) بحذف النون الثانية، وأهملت كما هو الأكثر فيها إذا خففت، وارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر فجئ بالألف، ونظيره أنك تقول: إنّ زيداً قائمٌ؛ فإذا خففت فالأفصح أن تقول: إنْ زيدٌ لقائمٌ، على الابتداء؛ قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٣٤] وهذه قراءة عبد الله بن كثير من السبعة: (إن هذانّ لساحران) بتخفيف النون في (إن) بالألف، وهي مشكلة لأن (إنّ) المشددة يجب إعمالها؛ فكان الظاهر الإتيان بالياء كما في القراءة الأولى وتشديدها في (هذانَ) بالألف، كما جاء في النقطة (جـ) السابقة[٣٥]. والثالثة (إنّ) بالتشديد و (هذانِ) بالألف، وهي مشكلة لأن (إنّ) المشددة يجب إعمالها؛ فكان الظاهر الإتيان بالياء كما في القراءة الأولى. وقد أجيب عليها بأوجه أحدها:

٣٢/ أنظر: الزرقاني محمد عبد العظيم (د . ت) مناهل العرفان في علوم القرآن ، طبعة دار إحياء التراث العربي ٣٦٧/١ .

٣٣/أنظر: ابن هشام الأنصاري، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ط١، دار الجيل بيروت ، ص ٥٩ وما بعدها .

٣٤/سورة الطارق الآية (٤) .

٣٥/ أنظر: البحر المحيط، ٢٥٥/٦

أن لغة بَلْحَارث بن كعب، وخثعم وزبيد وكنانة، وآخرين[٣٦] استعمال المثنى بالألف دائماً؛ نقول: جاء الزَّيدانِ، (الزيدان) فاعل مرفوع بالألف، ورأيْتُ الزيْدانِ، (الزيدان) مفعول به منصوب بالألف أيضاً ، ومررت بالزَّيدان، (الزيدان) اسم مجرور بالألف، قال: تزوَّدَ مِنّا بين أُذناهُ طعنةً[٣٧].

وقال الآخر: إنّ أباها وأبَا أباها *** قد بَلَغا من المجد غايتاها[٣٨]

والثاني أنّ (إنّ) بمعنى (نَعَمْ) مثلها فيما حكى أن رجلاً سأل ابن الزبير شيئاً لم يعطه، فقال: لعن الله ناقةً حملتني إليك، فقال: إنّ وراكبَهَا، أي: نعم ولعن الله راكبَهَا. (إنّ) التي بمعنى (نَعَمْ) لا تعمل شيئاً، كما أنّ (نَعَمْ) كذلك، فـ (هذانِ) مبتدأ مرفوع بالألف، وساحران خبر لمبتدأ محذوف، أي: لهما ساحران، والجملة خبر (هذان)، ولا يكون (لساحرانِ) خبر (هذان) لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ، وقال قطرب: (يجوز أن يكون المعنى (أجل) والله أعلم)[٣٩].

٣٦/ أنظر: الهمع ٤٠/١ . و أبو فارس والصاحبي ، ط المؤيد ١٣٢٨هـ- ١٩١٠م، وط بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٤م، ص ٢٩.

٣٧/ هذا الشطر من بيت على بحر الطويل لِهَوِيْر الحارثي والشاهد ان المثنى جاء على غير ما هو معهود فقد جُرَّ بالكسرة المقدرة على الألف تمشياً ولغة قومه على الحارث بن كعب، أنظر الصاحبي، ص ٢٩. وشرح المفصل ١٢٨/٣ ، ١٢٩. الأشموني ٧٩/١.

٣٨/هذا البيت من الرَّجَز أُختلف في قائله ما بين رؤية بن العجاج (ت ١٤٥هـ(، والفضل بن قدامة البحاي (ت ١٣٠هـ). والشاعران رجّازان شهيران يحتج العلماء بشعرهما، انظر المراجع السابق .

٣٩/أنظر: http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%A7%D

والثالث: أن الأصل (إنَّهُ هذانِ لهما ساحران)؛ فالهاء ضمير الشأن حذف من قوله صلى الله عليه وسلم:

(إنّ مِنْ أشدِّ النَاسِ عذاباً يومَ القيامةِ المُصوَّرُون)[٤٠]، ومن قول بعض العرب: (إنّ بك زيدٌ مأخوذٌ).

والرابع: أنه لما ثُني (هذا) اجتمع ألفان: ألف هذا، وألف التثنية؛ فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين؛ فمن قدّر المحذوفة ألف (هذا) والباقية ألف التثنية قلبها في الجر والنصب ياءٌ، ومن قدّر العكس لم يغيِّر الألف من لفظها.

والخامس: أنّه لمّا كان الإعراب لا يظهر في الواحد – وهو (هذا)– جعل كذلك في التثنية ليكون المثنى كالمفرد، لأنه فرع عليه.

واختار هذا القول الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية[٤١] ـ رحمه الله ـ وزعم أنّ بناء المثنى إذا كان مفرده مبنياً أفصح من إعرابه، قال: وقد تفطّن لذلك غير واحد من حذاق النُّحاة ثم اعترض على نفسه بأمرين:

أحدهما: أن السبعة أجمعوا على الياء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ

9%84%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%8A%20%D9%81%D9%8A%20%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D9%8A%D9%85/i543&n13898&p1

40/ أنظر: صحيح البخاري ، كتاب اللباس (٥٦٠) ، (إنّ) في مثل هذه الحال عاملة واسمها ضمير الشأن المحذوف ، أما خبرها فهو ما يقع بعده من مبتدأ وخبر.

٤١/فقيه حنبلي وإمام من الأعلام، له (مجموعة الفتاوى(و(الرسائل)، (ت ١٣٢٨م)

أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٤٢]

مع أنّ (هاتين) تثنية (هاتا) وهو مبنيّ؛ والثاني: أنّ (الذي) مبنيّ وقد قالوا في تثنية اللّذَيْنِ في الجرِّ والنّصب، وهي لغة القرآن كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾[٤٣]

وأجاب عن الأوَّل بأنه إنما جاء (هاتين) بالياء على لغة الإعراب لمُناسِبه (ابنتيَّ)، قال فالإعراب هنا أفصح من البناء لأجل المناسبة، كما أنَّ البناء في (إنَّ هذَانِ لَسَاحِران) أفصح من الإعراب، لمناسبة الألف في (هذانِ) للألف في (ساحران) وأجاب عن الثاني بالفرق بين (اللّذان) و(هذانِ) بأن (اللّذان) تثنية اسمٍ ثلاثي فهو شبيه بالزّيدان، و(هذان) تثنية اسم على حرفين، فهو عريق في البناء لشبهه بالحروف، والملاحظ أن تعرض ابن هشام واختيار ابن تيمية لهذه الآيات المشتملة على المثنى جاء نسبةً لوقوف النُّحاة عندها وتخطئتهم لقراءة عبد الله بن كثير الذي قرأ بتشديد النون في جميع تلك الصيغ: (اللذان، هذان، هاتان).

وزعم البصريون أن التشديد يختص بحالة الرفع دون النصب والجر؛ ولهذا فإنهم لا يجيزون القراءة بالتشديد في حالتي النصب والجر[٤٤] وقد

٤٢/ سورة القصص الآية (٢٧).

٤٣/ سورة فصلت الآية (٢٩).

٤٤/أنظر: البحر المحيط ٤٩٥/٧.

عُزي هذا التشديد لقبيلتي تميم وقيس[٤٥]، وكما سبق ذكره[٤٦] فقد عُزيت هذه اللهجة أيضاً لبلحارث ابن كعب وخثعم، وزبيد وكنانة، كما عزاها السيوطي إلى بني العَنْبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل بجانب بني الحارث بن كعب[٤٧]. وكما هو معلوم فإنَّ التزام المثنى للألف والنون لا علاقة له بأي حال من أحوال الإعراب وإنما هي لغة قسم كبير من العرب فهي مسألة من مسائل اللهجات الإقليمية، كذلك المثنى بالياء لغة جماعة من الناس أو لهجة من لهجات العربية، وهذا الكلام ليس بغريب فهو مستند إلى آراء بعض من العلماء مثل اختيار ابن هشام وموافقة ابن تيمية عليه والنُّحاة أمثال أبي عثمان المازني – فهو يذهب إلى التزام الألف رفعاً ونصبا وجراً في الأسماء الستة وفي المثنى وإلى تقدير حركات الإعراب عليها كما هي الحال في الأسماء المقصورة[٤٨].

وإن كان مخالفاً لمذهب جمهور النُّحاة الذين يرون أنّ المثنى من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة مثل المثنى في الصيغة يُغيِّر كما يُغير المثنى بحسب أحكام الإعراب بالألف رفعاً وبالياء نصباً وجراً وهذا

٤٥/أنظر: خالد الأزهري، (د . ت)، التصريح على التوضيح، نشر دار الفكر بيروت، ص ١٣٢/١،

٤٦/أنظر: الهمع ٤٠/١. و أبو فارس والصاحبي –، ط المؤيد ١٣٢٨هـ –١٩١٠م، وط بيروت ١٣٨٢هـ – ١٩٦٤م، ص ٢٩، وص ٩ من هذه البحث.

٤٧/ أنظر: شرح شذور الذهب، ص ٦٠ .

٤٨/ أنظر: ابن الأنباري، (د. ت) الإنصاف في مسائل الخلاف ، ، دار إحياء التراث العربي ص ١٧ ، وقد نقله ابن هشام في شذور الذهب ، ص ٦١. وهمع الهوامع ، ص ٤٤ في ما بعدها ، والصّبان على الأشموني ٤/ ٤١٩ (بتصرف) .

التغيير يجري فيه مع كونه مبنياً لا معرباً فيكون كتغيير الضمائر المنفصلة التي تتغيّر صورتها بحسب مواقعها من الإعراب.

وخالف بعضهم فقالوا بإعراب هذه الأسماء وبأنّ علامات إعرابها مقدّرة على الألف والياء فيها كما تقدّر على ما ختم بألف أو بياء من سائر الأسماء[٤٩]، ويمكننا أن نقبل كل هذه الآراء وأن نتعامل مع هذه الخلافات إذا جاءت في أي مسالة من مسائل النحو الكثيرة ولكن بما أنّ هنالك رأي من آراء النُّحاة البصريين قد وافق تلك القراءة السبعية المشهورة، حتى ولو لم يكن هذا الرأي – رأي المازني السابق الذكر – فلا مبرر لنا لرفض هذه القراءة أو الطعن فيها بأي حال من الأحوال، ناهيك عن أن هناك حججاً نقارع بها هؤلاء النُّحاة، وهو خبر الضَّحاك عن ابن عباس (أن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حيٍّ من أحياء العرب)[٥٠] ولا داعي لتأويلات النُّحاة وتخريجاتهم البعيدة الغارقة في الفلسفة والخيال مع وجود ظواهر لغوية بنيت على أساس اجتماعي واقعي وقبل كل هذا فإنّ هذه الظواهر اللغوية و(اللهجات هي أسمى الصور الأدبية التي عرفتها العربية، فهي لغة القرآن التي قضت على آثار اللهجات الإقليمية؛ وبذلك أصبحت لغة عامة يعرفها كل العرب؛ لذا ينبغي أن تكون هي المقياس

٤٩/أنظر: هامش شذور الذهب ، ص ٥٩ .

٥٠/أنظر: محمد سالم محيسن ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة، دار الجيل بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة، ص ١ /٥٩.

الوحيد الذي يلزمنا عرض هذه القواعد على لغته فما جاء موافقاً لنظام هذه اللغة أبقيناه وإلا أهملناه)[٥١].

المحور الثالث الممنوع من الصرف:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[٥٢]

اختلف القُرّاء في قراءة هذه الآية؛ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر وحمزة (سلاسلَ) بالنصب بفتحة واحدة (ممنوع من الصرف)، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (سلاسلاً) منونة[٥٣]. كما اختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ، مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[٥٤]

فقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير والكسائي بالتنوين لـ (قوارير) وقرأ الباقون بغير تنوين[٥٥]. وقرا الأعمش (يغوثا ويعوقا) بالصرف[٥٦] في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٥٧].

٥١/ أنظر: وراق محمد غالب عبد الرحمن ، ٢٠٠٣م ، مباحث في مشكلات النحو العربي وسبل علاجها، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية، ص ٦٦ ، (بتصرف)

٥٢/ سورة الإنسان الآية (٤).

٥٣/أنظر: البحر المحيط ٣٩٤/٨ .

٥٤/ سورة الإنسان الآيات (١٥ ، ١٦) .

٥٥/ أنظر: ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمد بن محمد، (د.ت) النشر في القراءات العشر، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ،ص ٣٩٥/٢ ، والإتحاف ، ٢/ ٥٧٧ .

٥٦/ أنظر: البحر المحيط ٣٤٢، والإتحاف، ٥٦٤/٢ .

٥٧/ سورة نوح الآية (٢٣).

قال العكبري: (سَلاسلَ) القراءة بترك التنوين، ونوّنه قوم أخرجوه على الأصل، وقرب ذلك عندهم شيئان: أحدهما: إتباعه ما بعده، والثاني: أَنهم وجدوا في الشعر مثل ذلك منوناً في الفواصل، وأَن هذا الجمع قد جمع كقول الراجز: قَدْ جَرَتْ الطيْرُ أيا مَنينَا.

وكلمة (قَوَاريرَا قَوَارِيرَا) في آية سورة الإنسان في الصفحة السابقة يقرآن بالتنوين وبغير التنوين وقد ذُكر، والأكثرون يقفون على الأول بالألف لأنه رأس آية، وفي نصبه وجهان: أحدهما: هو خبر كان، والثاني: حال و(كان) تامة أي كُونت وحَسُن التكرير لما اتصل به من بيان أصلها، ولو لا التكرير لما يحسن أن يكون الأول رأس آية لشدة اتصال الصفة بالموصوف[٥٨].

أقسام الاسم:

قسَّم النُّحاة[٥٩] الاسم المعرب من حيث قوة تمكنه في باب الاسمية إلى:

١/ متمكن أمكن وهو الاسم المصروف أو المنون.

٢/ متمكن غير أمكن وهو الاسم الممنوع من الصرف أو التنوين، وهو يعرب بالضمة رفعاً و بالفتحة نصباً وجراً

٥٨/ أنظر: العكبري إملاء ما مَنَّ به الرحمن ، ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦.

٥٩/أنظر: ابن يعيش شرح المفصل ، ٦١/١ وما بعدها . و ابن عقيل القاضي بهاء الدين عبد الله،شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، الدار السودانية للكتب ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، وطبعة المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م ص ٢ /٣٣٩ (بتصرف).

إلا إذا أضيف أو لحقته (الـ) فإنه يجر بالكسرة، وقد يصرف للضرورة كما جاء في كتب النُّحاة، وهو كثير وقد أجمع عليه البصريون والكوفيون ومن الشواهد على ذلك قول امرئ القيس:

تبصَّرْ خليلي – هل ترى من ظعائنٍ ؟ *** سؤالك نقباً بين حَزْميْ شَعَبْعَبِ[٦٠]

حيث صرف (ظعائن) مع أنه اسم على صيغة منتهى الجموع وهو ممنوع من الصرف وصرف للضرورة الشعرية. وتعرب ظعائن مفعولاً به لترى منصوباً بفتحة مقدرة على أخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة

حرف الجر الزائد، وقال امرؤ القيس أيضاً: (من الطويل):

تَنوَّرْتُها من أذرعاتٍ، وأهلها *** بيثرِبَ، أدنى دارِها نظرٌ عالِ[٦١]

الشاهد: (أذرعات) صرفت مع أنها علم مؤنث و قال سيبويه[٦٢] في ذلك سمعنا أكثر العرب يقولون بذلك ومثل: (أذرعات)، (عرفات) تقول العرب (هذه عرفاتٌ مباركاً فيها). وجاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ قوله تعالى:

---

[١]/أنظر: شرح ابن عقيل ٣٣٩/٢، ٣٤٠، سوالك: جمع سالكة وهي السائرة، نقباً: الطريق في الجبل، حزمي: مثنى حَزْم وهو الحزن أو ما غلظ من الأرض ، شعبعب: اسم موقع وقيل اسم مكان.

٦١/ أنظر: كتاب سيبويه، ٢٥٥/٢، وشرح المفصل ٤٧/١، ديوان امرئ القيس، ١٩٥٨م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، ط ١، ص ٣١ وخزانة الأدب، ص٥٦، ٦٠ . وشرح ابن عقيل، ص ٤٤ .

٦٢/ أنظر: الكتاب لسيبويه، ٢٥٥/٢ .

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾[٦٣].

ومن العرب من لا ينون (أذرعات) ويقول (هذه قَرَيْشِيّاتُ كما ترى)[٦٤]، ممنوعة من الصرف بدلاً عن (قريْشياتٌ) مصروفة مما كان حكمه جواز الصرف، ومنعه المؤنث الثلاثي ساكن الوسط (هِنْد)، و(دعْد)، و(نُعْم). قال جرير (من المنسرح):

لم تَتَلفّعْ بفضل مئزرها *** دعْدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ في العُلَبِ[٦٥]

والشاهد صرفه (دعْد) ومنعها من الصرف وكلا الأمرين جائز وهذا الجواز للمؤنث وليس للمذكر لأن الأشياء أصلها التذكير فهو أشد تمكناً كما أنّ النكرة أشد تمكناً من المعرفة وإذا سُمِّي المؤنث بـ (عمرو) أو (زَيْد) لم يجز الصرف[٦٦] وقد قال بذلك ابن أبي اسحق وأبو عمرو كما جاء عن يونس وهذا هو القياس عند البصريين وكان عيسى يصرف امرأة اسمها (عمرو) لأنّه على أخف الأبنية، يقول سيبويه (... واعلم أنَّ جميع ما ذكرنا إذا سميت به امرأة فإن بني تميم ترفعه وتنصبه وتُجريه

٦٣/ سورة البقرة الآية (١٩٨) .

٦٤/أنظر: كتاب سيبويه ، ٢٥٦/٢ ، مرجع سابق .

٦٥/أنظر: ديوان جرير بن عطية ، ص ١٠٢١ ، تحقيق نعمان أمين طه ، دار المعارف، مصر ، ط٣ لات ، وطبعة دار صياد ، بيروت ، لبنان ، شرح الأشموني ٥٢٧/٢، شرح المفصل ٧٠/١

٦٦/أنظر: الكتاب لسيبويه ، ٢٦٥/٣ .

مجرى اسم لا ينصرف؛ وهو القياس وأمّا أهل الحجاز فلمَّا رأوه اسماً لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيِّروه لأن البناء واحد)[٦٧].

كما قال النُّحاة بصرف الاسم للضرورة؛ كذلك ورد عندهم صرفه للتناسب فوجّهوا بهذا السبب بعض الآيات مثل: (سلاسلا) – السابقة الذكر – وقالوا بصرف (سلاسل) لمناسبة ما بعده[٦٨]، وأما منع المنصرف من الصرف للضرورة؛ فأجازه قوم، ومنعه آخرون وهم أكثر البصريين واستشهدوا لمنعه بقول ذي الإصبع العدواني:

وَمِمَّنْ وَلَدُوا عامرُ ذُو الطول وَذُو العرضِ[٦٩]

فمنع (عامر) من الصرف بسبب العلمية فقط وكان لا بد من إيقاع علة أخرى مع العلمية وكذلك في قول العباس بن مرداس[٧٠]:

فَمَا كانَ حِصْنٌ ولا حابسٌ *** يفوقانِ مِرْداسَ في مجمع.

الشاهد: منع صرف (مرداس) بسبب العلمية فقط[٧١].

ومما سبق ذكره يتضح أنّ صرف الممنوع من الصرف أو منعه كان لهجة من اللهجات وقد جاء في كتب النحو أنّ (صرف ما لا ينصرف مطلقاً لغة)[٧٢]، أي أنَّ العرب الفصحاء قد نطقوا بالتنوين وبغيره وكان ذلك فطرياً من غير تكلف.

٦٧/أنظر: الكتاب ، لسيبويه ، ٣٠٩/٣

٦٨/أنظر: شرح ابن عقيل ،٣٣٩/٢ .

٦٩/أنظر: المرجع السابق ، ٣٤٠/٢

٧٠/ أنظر: شرح ابن عقيل ،٣٣٩/٢ .

٧١/أنظر: المرجع السابق ٣٣٩/٢ ، ٣٤٠ .

٧٢/ أنظر: حاشية الصبان ٢٠٨/٣ ..

يقول الأخفش: (هي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم)[٧٣]. كما جاء عن صاحب الإتحاف أنّ لهجة بني أسد الصرف مطلقا[٧٤]. وقد جاء قول عباس حسن مؤكداً ما سبق ذكره وهو أنّ العرب الفصحاء نطقوا بهذا منوناً وبذاك غير منون فعلت هذا بفطرتها وطبيعتها لا لسبب آخر[٧٥].

المحور الرابع ـ ياء المتكلم:

من القراءات التي خطأها النُّحاة قراءة حمزة بن حبيب الزّيات في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٧٦].

قرأ حمزة بكسر الياء في (بمصرخيِّ) ووافقه يحي بن وثاب و الأعمش وحمدان بن أعين وجماعة من التابعين[٧٧].

وقرأ الجمهور (بمصرخيَّ) على فتح الياء وهو جمع مصرخ فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم، وفتحت لئلا يجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين، ويقرأ بكسرها وهو ضعيف وذلك بسبب الثقل، وفيها وجهان:

أحدهما: أنه كسر على الأصل.

٧٣/أنظر: البحر المحيط ٨ /٣٩٤ .

٧٤/أنظر: الإتحاف ٣٢٨ .

٧٥/أنظر: النحو الوافي هامش ، ٣٤/١ .

٧٦/ سورة إبراهيم الآية (٢٢(.

٧٧/ أنظر: النشر لابن الجزري ٢٩٨/٢ ، والإتحاف ٣٢٧ .

والثاني: أنه أراد مصرخيّ وهي لُغة، تتبع الكسرة الياء إشباعاً، إلا أنه في الآية حذف الياء الأخيرة اكتفاء بالكسرة قبلها[٧٨] وهذا قول العكبري الذي ضعف قراءة حمزة كما هو واضح من قوله السابق.

ومن النُّحاة الذين استنكروا هذه القراءة المبرِّد، وقال – فيها – الأخفش: (ما سمعت هذا من أحدٍ من العرب ولا في النحويين)[٧٩]، كما قال الزجّاج: (هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف)[٨٠]. ويقول المبرِّد: (لوصليت خلف إمام يقرأ (بمصرخيِّ) بالكسر لأخذت نعلي ومضيت)[٨١]، وقال النُّحاة[٨٢] في ياء المتكلم أو ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حركت إلى الفتح، تقول هذا غلامِيَ قد جاء ـ بفتح ياء المتكلم وذلك أنّ الاسم المضمر لما كان على حرف واحد. وقد منع الإعراب حرك بأخف الحركات، كما تقول: هو قام ويجوز إسكان الياء، لثقل الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء ساكن حركت إلى الفتح لا غير مثل هداي ومحياي لأن أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها فإذا كان قبلها ساكن صارت حركتها لازمة لالتقاء الساكنين فتقول:(ما أنتم بمصرخيَّ) بالفتح، وقد حاول بعض النحويين توجيه قراءة حمزة بالكسر فقالوا: إنّ الياء حركت بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين، وأصله (بمصرخين) حذفت النون للإضافة فالتقى ساكنان ياء الإعراب وياء الإضافة – وهي ياء المتكلم – وأصلها السكون كسرت للتخلص من

٧٨/ أنظر: إملاء ما مضنَّ به الرحمن ، ٢/ ٦٨ .

٧٩/أنظر: البحر المحيط ٥/٤١٩ .

٨٠/ أنظر: المصدر السابق نفسه .

٨١/ أنظر: تفسير القرطبي ج١٣ الآية (٢٢) من سورة إبراهيم .

٨٢/أنظر: شرح المفصل لموفق الدين بن يعيش، ٣/ ٣١ وما بعدها .

الساكنين، معنى هذا أنّ الكسر في ياء الإضافة جاء به القياس حيث إنّ الياء الأولى وهي ياء الجمع، جرت مجرى الصحيح لأجل الإدغام فدخلت ساكنة عليها ياء الإضافة، وحركت بالكسر على الأصل في اجتماع الساكنين، وردّ ابن الجزري على هؤلاء النُّحاة وقال بصحة هذه القراءة من حيث القياس ومن حيث إنها لغة باقية شائعة في أفواه أكثر الناس[٨٣] وقد استشهدوا لهذه القراءة بقول

الأغلب العجلي[٨٤]: قال لها هل لكِ ياتا فِيّ *** قالت له ما أنت بالمرضّ

كما صحح هذه القراءة جماعة من علماء اللغة حيث إنهم قالوا باطراد هذا الكسر في لغة بني يربوع من تميم وقد

قالوا بأنّ قطرب وأبا عمرو بن العلاء قالا بجوازها[٨٥].

ومن كل ما تقدم نجد أنّ قراءة حمزة صحيحة ومستندة على أسس قياسية سليمة كما أنها تمثل لهجة من لهجات العرب، وقد رأينا كيف أنكر المبرِّد والأخفش هذه القراءة، وهو إنكارٌ لا أساس له من الصحة، والواقع يقول غير ذلك حيث جاءت شواهدٌ وآراء تدل على صحة تلك القراءة بواقع اللغة والقياس ويظهر أنَّ اتهام النُّحاة البصريين جاء بسبب ما تجاهلوه من لغاتٍ أو ما خفي عليهم من توجيه لهذه القراءة فرموها باللحن معنى هذا أنها قد اجتمعت فيها – غير القارئ الثقة – عوامل أدت إلى الاطمئنان إليها يقول أبو

٨٣/أنظر: النشر في القراءات العشر ٢٩٨/٢ .

٨٤/شاعر جاهلي إسلامي أسلم وهاجر ثم استشهد في واقعة نهاود كما جاء في خزانة الأدب للبغدادي ٤٣١/٤ شاهد رقم ٣٢٢ .. وأنظر حاشية الشيخ يس على التصريح ٦٠/٢ .

٨٥/أنظر: التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ٦٠/٢ .

حيان: (ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر وكان حمزة صالحاً ورعاً ثقة في الحديث)[٨٦].

المحور الخامس الإتباع:

ومن القراءات التي خطأها النُّحاة قراءة الحسن البصري لقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨٧]. بكسر الدال

واللام (الحمدِ لِله)، وقراءة إبراهيم بن أبي عبلة بضم الدال واللام (الحمدُ لُلهِ)[٨٨]، كما ضعفها العكبري قائلاً:

(ويقرأ بكسر الدّال إتباعاً لكسرة اللام وهو ضعيف في الآية لأن فيه إتباع الإعراب و البناء ومن ذلك إبطال للإعراب ويقرأ بضم الدّال واللام على إتباع اللام الدّال، وهو ضعيف أيضاً لأن لام الجر متصل بما بعده

منفصل عن الدّال)[٨٩]، وقول العكبري هذا يعتمد على تحليل قياسيٍّ من صنع النُّحاة فقط، من غير رجوع إلى صحة الرواية أو القول بهذه اللهجة وغيرها من اعتبارات. قال الزجّاج: (لا يلتفت إلى هذه اللغة ولا يعبأ بها)[٩٠]، في حين أنّ الأخفش قد علل لهذا الإتباع بقوله: (قال بعض العرب (الحمدِ لِله) فكسره، وذلك أنه حمله

٨٦/ أنظر: البحر المحيط ١٥٩/٣.

٨٧/سورة الفاتحة الآية (٢).

٨٨/ أنظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الأنباري، ص ٢١٨. ومعاني القرآن للفراء، ٣/١. والإملاء للعكبري، ص ٥.

٨٩/أنظر: العكبري ، ص ٥ ، مرجع سابق.

٩٠/أنظر: اللهجات العربية نشأةً وتطوراً ، لعبد الغفار حامد هلال ، ص ٢٩٩ ، دار الفكر العربي ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة، وذلك أنّ الأسماء التي ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة لا تزول عنها)[٩١] وخلاف النُّحاة البصريين في هذه القراءة يؤكد صحتها وتواترها وموافقتها للهجات عربية معروف لم يعبا بها النُّحاة في حين أنَّ القرآن قد أثبتها وحفظها، فهي (لهجةٌ لبني تميم ونسبت إلى بعض غطفان)[٩٢]، وهو يقصد بهذه العبارة القراءة بالجر أمّا بالضم فقد نسبت لربيع قال أبو جعفر النّحاس: (الحمد لله بالجر لغة تميم، وبالضم لغة بعض بني ربيعة)[٩٣]، وفي قراءة كسر الدّال قال عنها الفرّاء: أنها كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسر أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل (إبِل) فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم[٩٤]، وفي قول الفرّاء نجد أنّ الثقل واللجوء إلى السهولة والخفة هما اللذان جعلا هؤلاء العرب يكثرون من هذا النطق وفي الآية يتحقق الانسجام الصوتي والسهولة واليسر؛ إلا أنّ النُّحاة لم يفكروا إلا في قياسهم الذي وضعوه ولم يبحثوا في مجال اللهجات والقراءات التي عملت على حفظ تلك اللهجات كما أراد الله لها ذلك، كما جاء الإتباع على لغة أزد شنوءة[٩٥] حيث إنهم اتبعوا التاء في الوصل لحركة الجيم في قراءة أبي جعفر لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

٩١/أنظر: الأخفش الأوسط ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، معاني القرآن ، ط ١ ، ٩/١ ، تحقيق عيد الأمير محمد أمين.

٩٢/ أنظر: نزهة الألباء ، ٢١٨/١ ، مرجع سابق .

٩٣/ أنظر: نزهة الألباء ، ٢١٨/١ ، بتصرف .

٩٤/ أنظر: معاني القرآن للفرّاء ٣/١ ..

٩٥/ أنظر: النشر لابن الجزري ٢١٠/٢ . و البحر المحيط ١٥٢/١ .

الْكَافِرِينَ ﴾[٩٦] وذلك لثقل خروج اللسان من الكسر إلى الضم إذا كسروا تاء الملائكة.

النتائج والتوصيات:

*اعتمد النُّحاة في اتهامهم للقُراء على ما وضعوه من قواعد وما قام عليه نحوهم من أسس مثل القياس والعلل، لذلك يجب أن يكون الأصل في وضع القواعد القرآن الكريم وما سمع عن العرب بعيداً عن التأويلات والفلسفة وكل صنعة.

*أدى تجاهل النُّحاة للهجات بعض القبائل العربية إلى تأويل القراءات وتخطئتها ورميها بالشذوذ مما كان سبباً في الاضطراب وتعدد الآراء النّحوية لذلك لابد من الاهتمام بأمر اللهجات العربية ودراستها، خاصة ما تجاهله النُّحاة منها.

٩٦/سورة البقرة الآية (٣٤).

أهمَّ المراجع والمصادر

١ / القرآن الكريم

٢ / إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، نشر عالم الكتب، بيروت، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣ / الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق وبيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، وطبعة دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

٤ / الأصول في النحو، لابن السراج، تحقيق عبد المحسن الفتلي، بغداد ١٩٧٣م.

٥ / إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراء آت في جمع القرآن، لأبي البقاء بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٦/ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م،وطبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ودار إحياء التراث العربي (د. ت).

٧ / البحر المحيط،لأثير الدين أبي عبد الله بن حيّان الأندلسي، طبعة السعادة القاهرة ١٣٢٨هـ

٨ / ديوان جرير بن عطية، تحقيق نعمان أمين طه، دار المعارف، مصر، ط٣ لات، وطبعة دار صياد، بيروت، لبنان.

٩ / السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٢،١٩٨٠ م.
١٠/ سيبويه والقراءات، لأحمد مكي الأنصاري، دار المعارف، مصر، ط ١ ١٩٧٢م.
١١ / شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، للقاضي بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الدار السودانية للكتب ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، وطبعة المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
١٢ / شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري، دار الفكر، القاهرة(د. ت) و مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٨هـ.
١٣ / شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق حسن الحفظي ويحي مصري إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض، ط ١ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٤ / شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لأبن هشام، تحقيق حنا الفاخوري دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٥ / شرح الكافية الشافية، لابن مالك، تحقيق عبد المنعم هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٦/ شرح المفصل، لموفق الدين ابن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت لبنان، (د. ت)
١٧ / الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢ بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ.
١٨ / في اللهجات العربية، لإبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٦، ١٩٨٤م
١٩ / القراءات الشاذة، لابن خالويه، نشر دار الكندي للنشر والتوزيع،الأردن (د. ت).

٢٠ / الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢١ / الكتاب، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢ ١٩٧٧م.

٢٢ / الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣ / اللهجات العربية نشأةً وتطوراً ، لعبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٤ / مباحث في مشكلات النَّحو العربي وسبل علاجها، لمحمد غالب عبد الرحمن ورَّاق، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية، ٢٠٠٣ م.

٢٥ / مختصر في شواذ القراءات،لابن خالويه، مكتبة المتنبئ، القاهرة، (د. ت).

٢٦ / معاني القرآن، للأخفش الأوسط، تحقيق عيد الأمير محمد أمين، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٧/ معاني القرآن، للفرَّاء أبو زكريا يحي بن زياد، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد علي النَّجار، نشر دار السرور، بيروت، لبنان، (د. ت).

٢٨/ معاني القرآن، للفرَّاء أبو زكريا يحي بن زياد، تحقيق محمد علي النَّجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (د. ت).

٢٩/ معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحق الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٠ / معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق ودراسة عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي، دار المعارف، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣١ / مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق ممد محي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى، (د. ت).
٣٢ / المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة ، لمحمد سالم محيسن، دار الجيل بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٣ / المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، دار الجيل بيروت، (د. ت).
٣٤ / مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة دار إحياء التراث العربي (د. ت)
٣٥/ منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته ومآخذ بعض المحدثين عليه، لسليمان يوسف خاطر، رسالة دكتوراة، ٢٠٠٠م.
٣٦/ النَّحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، ط ٧، ١٩٨١م.
٣٧/ / نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط ٣ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٨ / النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري،طبعة المكتبة التجارية الكبرى (د.ت)
٣٩ / همع الهوامع، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة بيروت، لبنان، (د. ت).